## المحاضرة السابعة: الأدب والنقد

**تمهيد:**

عرف الأدب تطورا في أساليبه وقيمه وأنماط التشكيل اللغوي فيه على مر العصور، وتعددت سُبل نقده وتقييمه بتعدد النزعات والاتجاهات الفكرية والثقافية، وقد تدخّلت عوامل عديدة في تحديد عوالم العملية النقدية للنصوص الأدبية، أسهمت في تقديم قراءات متنوعة، تحكمها شروط وآليات منهجية، تتراوح بين الذوق الفني والقواعد النقدية المتمثّلة في المناهج العلمية الدقيقة، والتي جعلت من العمل الأدبي مجال اهتمامها بصرف النظر عن الطريقة التي تعاملت بها معه في الشرح والتفسير، وفيما يأتي عرضٌ لآراء متباينة حول وظيفة النقد الأدبي مع تحديد صفات الناقد مرورا بإرهاصات النقد الأدبي الحديث.

### 1. في النقد والنقد الأدبي:

ورد في كتاب نقد الشعر **لقدامة بن جعفر**، أنّ اللغة العربية استعملت كلمة (نقد) بمعنيين:

- المعنى الأول؛ تمييز الجيد من الرديء، فقالوا: نقدتُ الدراهمَ وانتقدتُها، أخرجتُ منها الزيف وميّزتُ جيّدها من رديئها.
- المعنى الثاني؛ العيب والانتقاص، قالت العرب: نقدته الحيّة إذا لدغته، ونقدتُ رأسه بأصبعي إذا ضربته، وفي حديث (أبي الدرداء): إن نقدتَ الناس نقدُوك، ومعناه؛ إن عِبتهم وجرحتهم قابلوك بمثل صُنعك[1].

ثمّ أخذ الباحثون لفظة النقد من المعنى الأول، القائم على الشرح والتمييز والتحليل والحكم، "وهكذا نجد أنّ أصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم، وأنّ الغرض منه كما يقول بعض النقاد دراسة الأساليب أو نفوس الكُتّاب أو دراسة الآراء والأفكار، على أنّ النقد ذو صلة وثيقة بالذوق، وليس هو مطلق الذوق"[2]، بل هو متبوع بالثقافة الواسعة مع إحكام العقل حتى يكون نقدا موضوعيّا.

---

[1]. قدامة بن جعفر (أبي فرج)، نقد الشعر، تح، محمد عبد المنعم خفاجي، دط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص12.

[2]. المرجع نفسه، ص15.

يتّفق جلّ الدارسين على أنّ كلمة النقد الأدبي أخذت مدلولها من المعنى اللغوي للنقد المتضمّن آليّتي التمييز والحكم، يقول **شوقي ضيف**: "النقد تحليل القطع الأدبية وتقدير ما لها من قيمة فنيّة، ولم تأخذ الكلمة هذا المعنى الاصطلاحي إلا منذ العصر العباسي، فقبل ذلك كانت تستخدم بمعنى الذمّ والاستهجان، واستخدمها الصيارفة في تمييز الصحيح من الزائف في الدراهم والدنانير"[1]، ثمّ إنّ الباحثين أخذوا هذا المعنى للتدليل على مدى جودة النصوص الأدبية أو رداءتها.

يتحدّث **محمد غنيمي هلال** عن مفهوم النقد الأدبي قائلا: "يقوم جوهر النقد الأدبي أولا على الكشف عن جوانب النضج الفنّي في النِّتاج الأدبي، وتمييزها ممّا سواها عن طريق الشرح والتعليل، ثمّ يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها"[2]، ويذكر أنّ أقدم صورة للنقد الأدبي هي نقد الأديب لعمله ساعة خلقه، وعليه يمكن الجزم بأنّ كلّ أديب هو ناقد بطريقة ما، من خلال خبرته وتجاربه الإبداعية وثقافته الواسعة، وإن كان نقده يظلّ قاصرا ينأى عن الشرح والتعليل والتوجيه، ممّا يستدعي ضرورة الإفادة من العلوم الإنسانية والتجريبية حتى يكون أكثر موضوعية ويواكب الحركة النقدية الغربية العالمية، بنظره.

في حين يرى **أحمد أمين** أنّ كلمة النقد الأدبي مكوّنة من شقّين؛ أدبي نسبة إلى الأدب "وهو التعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة، ونقد، هي كلمة تُستعمل عادة بمعنى العيب، ومنه حديث أبي الدرداء: إن نقدتَ النّاس نقدوك، وإن تركتهم تركوك، أي؛ إن عبتهم، وتُستعمل أيضا بمعنى أوسع، وهو تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبيح، وهذا يتّفق مع اشتقاق الكلمة، فإنّ أصلها من نقد الدراهم لمعرفة جيّدها من رديئها"[3]، وهو المفهوم الذي تبناه معظم الدارسين والنقاد، حيث إنّ كلمة (نقد) تعني التمييز والتقييم والحكم، والنقد الأدبي هو تمييز جيد القطعة الأدبية من رديئها.

يرفض **سيد قطب** أن يكون النقد الأدبيّ قريبا كلّ القرب من النظريات العلمية أو من النظريات الفلسفية والجمالية، بل ينبغي أن يأخذ منها فقط ما يتماشى وطبيعة العمل الأدبي،

---

[1]. شوقي ضيف، النقد، ط05، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984، ص09.

[2]. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دط، دار نهضة مصر، القاهرة، 1997، ص09.

[3]. أحمد أمين، النقد الأدبي، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1967، ص17.

يقول: "وإنّه ليكون من الخطأ الفادح الاعتماد الكلّي في قواعد النقد الفني على أساس علمٍ لا يُستطاع الجزم فيه بشيء"[1] فلكلّ مادّة علمية خصائصها وطبيعتها، ولا بأس من الإفادة منها دون الغلوّ والمبالغة في ذلك، لأنّ تلك العلوم نسبيّة وقابلة للتغيير وقد تغيّر قواعد النقد من الأساس إن هي تغيّرت.

مِن النقّاد مَن يميل إلى كون النقد الأدبيّ يستند إلى الذوق أكثر من العلم، ومنهم **محمد مندور** المتأثّر بالنقد العربي القديم أوّلا وبأبحاث الناقد الفرنسي **لانسون** Lanson، صاحب المذهب العلمي الموضوعي في النقد ثانيا، يقول **مندور:** "إنّ أساس كلّ نقدٍ هو الذوق الشخصيّ تدعمه مَلكة تحصل في النفس بطول ممارسة الآثار الأدبية، والنقد ليس علمًا ولا يمكن أن يكون عِلما، وإن وجب أن نأخذ فيه بروح العلم"[2]، بمعنى؛ أنّ الذوق الذي يتّفق عليه **مندور مع لانسون** ليس هو نفسه بمفهومه النظري الفلسفي المتعارف عليه، وإنّما هو الذوق الأدبيّ المصقول بالخبرة والدّربة وطول الاشتغال في مجال الأدب، كما ينبغي أن يكون متبوعا بالمناقشة والتعليل.

أمّا **أحمد أمين** الذي عُرف باعتداله في آرائه النقدية، فهو يرى بأنّ "النقد في اصطلاح الفنيين هو تقدير القطعة الفنيّة ومعرفة قيمتها ودرجتها في الفنّ سواء كانت القطعة أدبا أو تصويرا أو حَفرا أو موسيقى، وتُسمّى الملكة التي يكون بها هذا التقدير الذوق، وهذا الذوق ليس مَلكة بسيطة بل هي مركّبة من أشياء كثيرة يرجع بعضها إلى قوّة العقل وبعضها إلى قوّة الشعور... وعليه فالنقد الأدبيّ متّصل اتّصالا كبيرا بجملة العلوم والفنون"[3]،بمعنى أنّ العملية النقدية تقترب من العلم بما يحمله من عقلانيّة ومن قواعد منهجيّة وشروط الدقّة والموضوعية كما يقترب من الفنّ بما يتضمّنه من أحكام جمالية وانطباعات ذاتيّة تستند إلى الذوق.

[1]. سيد قطب، النقد الأدبي (أصوله ومناهجه)، ط8، دار الشروق، مصر، 2003، ص122.

[2]. محمد منذور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، دط، دار نهضة مصر، 1996، ص11.

[3]. أحمد أمين، النقد الأدبي، ص17.

في السياق نفسه، يوضّح **حميد لحميداني** أنّ النقد الأدبي لا يقوم على القراءات الذوقية الذاتية المباشرة وحدها ولكن أيضا على المعرفة الواعية أي على التحصيل والخبرة[1]، لأنّ مجرّد إصدار أحكام ذاتية على الأعمال الأدبية بالإعجاب أم غير ذلك دونما شرحٍ أو تفسير هي مهمّة القارئ العادي، أمّا الناقد، فعليه استثمار خبراته ومعارفه إلى جانب ذوقه الخاص حتّى يتمكّن من إقناع القارئ وكسب تأييده لوجهة نظره النقدية، يقول: "ومن المسلّم به أنّ الذوق يتدخّل بشكل أو بآخر في عمليات التحليل النقدي وما يتّصل بذلك أحيانا من أحكام واختيارات، وبإمكاننا اعتبار الذوق كعين حادسة تدعّم منهج الناقد وطريقة تحليله للأعمال الأدبيّة، إلّا أنّ الذوق لا ينهض في جميع الأحوال وحده بالمهمة الأساسية للنقد، وهي التحليل والإقناع"[2].

وهي الفكرة ذاتها التي قالت بها **سهير القلماوي** في معرض حديثها عن ماهية النقد الأدبي، القائم على نوعين من النشاط: "أمّا الأوّل فهو التذوّق أو الإحساس بما أحسّ به المؤلّف كما يمليه النص الذي أخرجه، وهذا بالطبع نتيجة حتميّة لردّ الفعل الأوّل إزاء النص وهو الانفعال به... وأمّا النوع الثاني فهو وصف النص إمّا في ضوء تعليل التذوّق وتبريره أو في صدد تبيّن كنه هذا الانفعال"[3] ممّا يدعم فكرة أنّ النقد الأدبي لا يقوم على الذائقة فحسب وإنّما تُتبع بالشرح والتعليل وفق معارف الناقد ورصيده الفكري المكتسب من مجالات العلوم الإنسانية والفلسفية المختلفة، حتى تكتمل أركان العملية النقدية وتُحقق الإقناع لدى القارئ.

## 2. وظيفة النقد الأدبي:

اتّفق **أفلاطون** وتلميذه **أرسطو** على أنّ الناقد "عليه أن يكتب من خلال تفاصيل العمل المتباينة، ما يجعل ذلك العمل فريدا بين سائر الأعمال الفنيّة الأخرى، بحيث يمكنه أن يتخيّر من تفصيلات هذا العمل ما يخلع عليه بين سائر إخوانه ذلك التفرّد الذي لا يشاركه فيه شريك

[1]. ينظر، حميد لحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، ط3، مطبعة آنفو برانت، المغرب، 2014، ص 12.

[2]. المرجع نفسه، ص 13.

[3]. سهير القلماوي، النقد الأدبي، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، مصر، 1955، ص8.

آخر"[1]، ممّا يبرز فكرة أنّ وظيفة النقد تقتضي الفحص والتمييز (المعاينة) لجزئيات النص الأدبي وتفاصيله، بحثا عما يميزه عن سائر النصوص، استنادا إلى (الذوق) كما تعبّر عنه كلمة (أن يتخيّر)، ومن ثمّة الحكم عليه أو تقييمه، وهي تماثل وظيفة النقد العربي القديم، القائم على الذوق والأحكام الذاتية، حيث تتدخل التجربة والمران في تقييم الأعمال الأدبية وإدراجها مدارج الجودة أو الرداءة، فوظيفة النقد العربي القديم "تتمثّل في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنيّة، وبيان قيمته الموضوعية وقيمته التعبيرية والشعوريّة، وتوضيح منزلته وآثاره في الأدب"[2]، مما يؤكد فكرة تلاقي النقد العربي والغربي في الوظيفة والمفهوم.

أمّا في النقد الحديث، فقد تباينت الآراء حول وظيفة النقد الأدبي بتباين المذاهب والمرجعيات الفكرية، "ذلك أنّ النقد الأدبي اليوم يتميز بتعدّد مشاربه ومقارباته، غير أنّ القاسم المشترك لهذه التعددية والاختلافات واحد هو الأدب والعمل الأدبي، وإن اختلفت مواقف النقاد ووجهات نظرهم، وحتى دوافعهم، فإنّ الأدب هو ما يجمعهم"[3]، وفيما يلي عرضٌ لآراء متباينة حول وظيفة النقد الأدبي متبوعة ببعض صفات الناقد:

يرى **سانت بيف** أنّ وظيفة النقد تقوم على "النفاذ إلى ذات المؤلف لتستشفّ روحه من وراء عبارته بحيث يفهمه قرّاؤه، وفي ذلك يضع الناقد نفسه موضع الكاتب، فالنقد على حدّ تعبيره يعلّم الآخرين كيف يقرأون، ولذلك كان على النقد أن يتجاوز القيم الجمالية العامّة، إلى بيان روح العصر من خلال نفسيّة المؤلّف"[4]، وهو ينطلق من فكرة أنّ النصّ تعبيرٌ ذاتيّ، ولد في عصرٍ ما وفي سياق تاريخيّ محدد، ولقراءته نقديّا ينبغي النظر في تفاصيل حياة الكاتب وشخصيته ومعرفة كلّ ما مرّ به من أحداث ووقائع في محيطه، من أجل تقديم شرحٍ موسّع وتفسيرٍ دقيقٍ لكتاباته.

---

[1]. سامي منير عامر، وظيفة الناقد الأدبي بين القديم والحديث، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984، ص12.

[2]. قدامة بن جعفر (أبي فرج)، نقد الشعر، ص 16..

[3]. دانيال برجيز وآخرون، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر، رضوان ظاظا، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997.

[4]. قدامة بن جعفر (أبي فرج)، نقد الشعر، ص16.

يذهب رواد المنهج الاجتماعي إلى الاعتقاد بأنّ وظيفة النقد ترتبط بمدى فهم الناقد للسياق الاجتماعي المحيط بالنص، ومنهم **لوسيان غولدمان** Lucien Goldmann الذي "لا يكتفي البتة بما في النصوص من المضامين الصريحة ومن الحوادث ومن الشرائح الاجتماعية الممثلة فيها، ويؤكّد أنّ العمل، فلسفيّا كان أم أدبيّا، لا يمكن الوقوف على دلالته الموضوعيّة إلا بوضعه في سياق التطور التاريخي والحياة الاجتماعية... ومنهج **غولدمان** يجعل من العمل الأدبي عبارة مصغّرة عن العالم الذي نشأ فيه، أي موجزا رمزيّا من القانون الجماعي السائد في الوقت وفي الوسط الثقافي اللذين أنتجاه"[1]، و(غولدمان) من النقاد المتأثرين بالفكر الماركسي وأفكار **جورج لوكاش** صاحب نظرية الانعكاس، فهؤلاء ينظرون إلى الأدب على أنه صورة للواقع الذي نشأ فيه، وانعكاس للمجتمع الذي يشكّل خلفية حتمية لذلك الأدب، وعليه فوظيفة النقد وهدفه الأساس هو البحث عن فكر الجماعة داخل النصوص الأدبية.

من جانب آخر، يلخّص **حميد لحميداني** أهداف النقد ووظيفته فيما يأتي:

- فهم الظاهرة الأدبية المدروسة واستيعاب عناصرها المسؤولة عن جماليتها أو عدم جماليتها.
- محاولة كشف الدلالات الظاهرة والخفيّة والمحتملة، بمعنى إغناء النص بإقامة حوار منتج مع بنياته الدالّة.
- إقناع القرّاء والمهتمين بتقويم الأعمال الأدبية، بأنّ ما توصّل إليه الناقد من نتائج وأحكام ودلالات هو شيء قريب من الصواب، لأنّه بذلك سيضمن أكبر عدد ممكن من المؤيّدين لنظرته الخاصة ونتائج تحليله[2]، وهي وظائف قائمة على آليات التحليل والشرح والتفسير، وكذا إقامة علاقة حوارية مع النص الأدبي، على مستوى لغته وبنياته الدلالية وعناصره الجمالية، حتى تكون قراءة نقدية فاعلة تسهم في إقناع القارئ بجدية ما يقرأ، لأنّ النقد، من هذا المنظور، مؤسس على رؤية معرفية عميقة بتفاصيل الخطاب الأدبي، تنأى عن شروحات المناهج النقدية

---

[1]. آن موريل، النقد الأدبي المعاصر، مناهج، اتّجاهات، قضايا، تر: إبراهيم اولحيان ومحمد الزكراوي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2008، ص64/67.

[2]. ينظر، حميد لحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، ص 12.

السياقية ذوات الحمولات الفكرية الموجّهة، وتتجه نحو رؤية علمية معرفية موضوعية تهتمّ بنسق النص أكثر من اهتمامها بسياقاته.

عموما، يمكن القول أنّه، لكلّ ناقد أدواته ومبادؤه الفكرية وعدّته المعرفية التي ينطلق منها في العملية النقدية، ومهما تعددت الآراء وتباينت حول مفهوم النقد ووظيفته، أو حول الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الناقد، غير أنّ الأمر المتفق عليه هو كون العمل الأدبي بتفاصيله وغاياته وأنواعه وصوره ودلالاته وتشكيلاته اللغوية المختلفة هي الموضوع الأساس للنقد الأدبي.